مكتبة النجف
قسم الدوريات

حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

غير مصرح باعارتها من المكتبة

العدد الأول
١٤٠١هـ - ١٩٨٠م

لماذا؟ رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي

الدكتور
عبد العظيم الديب

تمهيد لابد منه :

ترجع فكرة هذا البحث ، وبذرته الأولى إلى سنوات تزيد على العشر ، حين قدّر لي أن أعيش في قطرٍ عربي شقيق هو « السودان » بضعَ سنين ، وهناك بدأت أرى حياة هذا القطر على صورةٍ غيرِ الصورة التي رسمتها الدراسةُ والكتب في ذهني ، وجلستُ إلى شيوخ هذه البلاد ومعمّريها ، أسمع منهم ذكرياتهم ، وحكاياتِ شبابهم ، يحكونها على البديهة مفعمة بالمشاعر ، مليئةً بالأحاسيس . وكان أن رأيت لهذى البلاد تاريخاً غير التاريخ الذي قرأته ، وواقعاً غير الذي تصوّرته ، أو بالأحرى صُوِّر لي .

اتفق ما سمعته مع ما قرأتُه إلى حد كبير في نفس الأحداث ، ولكن كان الخلاف واسعاً جداً وعميقاً جداً في تفسير هذه الأحداث والوقائع .

وأضرب مثالاً واحداً على ذلك ، هو وجود جاليات مسيحية كثيرة في مدن السودان الكبرى كانت المقولة الشائعة الذائعة أن هؤلاء نزحوا من شمال الوادي « مصر » إلى جنوبه ، هرباً من استبداد المسلمين وظلمهم ، وأشاع ذلك كل من كتب في هذه المسألة من الإنجليز والمسيحيين أولاً ، ثم تابعهم ونقل عنهم الكاتبون بعد ذلك .

ولكن الذين عاصروا الأحداث ، وعايشوها يذكرون تفسيراً آخر لوجود هذه الجاليات المسيحية ، فيقولون :

إن الإدارة الإنجليزية المستعمِرة في السودان كان لابد من أن تستعين بجماعات من الموظفين والعمال ، ولما جلبتهم معها من مصر ، وجدت أنهم سرعان ما يندمجون مع السودانيين ويرتبطون معهم بالإخاء والمصاهرة ، فيكونون متعاطفين مع أهل السودان ، لا يحققون ما تبغيه السلطة المستعمِرة من قهرٍ وبطش ، فلجئوا إلى الشام يجلبون من المسيحيين بها ما يريدون ولكن هؤلاء الشوّام لم يستطيعوا أن يتحملوا مناخ السودان الحارّ ، الذي يختلف كثيراً في طبيعته عن بلادهم ، فرجعوا إلى بلادهم عاجزين . فكان أن اتجهت الإدارة المستعمرة إلى مصر ثانية تجلب منها عمالها وموظفيها ، ولكن بشرط أن يكونوا من نصارى مصر . حتى لا يتمكنوا من الإندماج مع السودانيين ومؤاخاتهم ، بل يظلون على ولائهم للإنجليز ، أرباب نعمتهم ، وإخوانهم في المسيحية .

هكذا . جاء القبط النصارى إلى السودان ، وأقاموا بها جاليات . هذه حقيقة ! ولكن فرق كبير وبون شاسع بين أن يكون مجيئهم هرباً من استبداد المصريين المسلمين بهم ، وبين أن يكون مجيئهم للعمل في خدمة السلطة المستعمرة ، حيث لم يفلح في هذا العمل غيرهم .

أقول : منذ هاتيك الأيام بدأت بذرة هذا البحث ، وبدأت أنظر لتاريخ أُمتنا ، وأتأمل في وقائعه وأحداثه ، وأعيد النظر فيما كان يعتريني من قلق غامض خانق ، حينما أُقلّبُ كثيراً من صفحات تاريخنا الإسلاميّ .

وبدأت أرصد — قدر جهدي — ما يقال ويكتب عن هذا التاريخ الإسلاميّ العظيم ، فوجدت عجباً .

وسأحاول أن أسجل في الصفحات التالية بعض وسائل ومظاهر تشويه تاريخنا الإسلامي :

معنى التاريخ :

من المناسب قبل أن نتكلم عن تشويه تاريخنا ، أن نبين معنى التاريخ ومفهومه .

وبعيداً عن المصطلحات الغريبة ، أو العبارات الغامضة ، نستطيع أن نقول : إن التاريخ ليس سجلاً للمعلومات والحوادث ، وجمعاً لها ، فلو كان كذلك لكان مجـــرّد اجترارٍ للماضي للتسلية أو الفخر ، وما كانت العنايةُ بدراسته ، وما استحق هذا الاهتمام من رجال التربية ودعاة الحق ، والحثّ على العناية به وإبرازه . يقول المفكر الإسلامي الكبير السيد « أبو الحسن الندوي » : « فلنكثر من تدريس كتب التاريخ ، من دراسة الحوادث والحكايات ، فإن للحوادث والحكايات تأثيراً ليس للمنطق والبرهان والمقالات العلمية » (نحو التربيـــة الإسلامية ص ١٦) .

وإذا لم يكن التاريخ سجلاً للأحداث ، « وأرشيفاً » للمعلومات ، فما هو ؟

إن التاريخ في حقيقته « ليس هو الحوادث ، ولا سردها وتبويبها ، ولكنه تفسير هذه الحوادث ، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئـــة امتداد الكائن الحيّ في الزمان والمكان » . (سيد قطب : في التاريخ : فكرة ومنهاج : ٣٧) .

ويقول المفكر المعاصر الدكتور رشدي فكّار : « إن أحد أضلاع الغائب المثلث ، هي غيبة التعرف الاستيعابي على الماضي ، فلابد من التحفظ على أهواء المؤرخين ، وإخضاع ما دفنوه للتمحيص والتدقيق ثم نخضع هذه الحوادث والوقائع الثابتة المؤكدة الصحيحة للتحليل والدرس ، لفلسفة التاريخ ، وبالدراسة الموضوعية يمكن أن نجد قُدرةً هائلة تعطينا ثقة في مستقبلنا » (محاضرة له بعنوان : الإنسان العربي بين التأزم والإنطلاق) .

وبهذا المفهوم للتاريخ تُهرع الأُمم في الأزمات والنكبات إلى تاريخها ، تستلهمه العبرة والعظة ، وتستضيء به في حاضرها ، ومستقبلها .

والتاريخ بهذا المعنى ليس علم الماضي ، وإنما هو علم الحاضر والمستقبل ، ولذا كان حرص أعدائنا على طمس تاريخنا وتشويهه ، لتضليل الحاضر ، وطمس الطريق إلى المستقبل .

ما يتميز به التاريخ الإسلامي :

إذا كان تاريخ كل أُمة ، هو ضوء مستقبلها ، ومجد حاضرها ، فإن تاريخ الإسلام

أكبر من كل هذا ، وأبعد خطراً من كل تاريخ ؛ ذلك أن التاريخ الإسلامي في حقيقته هو التطبيق العملي للإسلام ؛ فالتاريخ الإسلامي مطبقاً منفذاً ، فإذا كان القرآن الكريم والسنة الصحيحة هما شرائع الإسلام وهديه ، فإن حياة رسول الله ﷺ وصحابته والمسلمين من بعدهم هي الإسلام مطبقاً منفذاً ، وإذا حاولت أن تفصل بين عمل المسلمين في القرون الأولى وبين الإسلام فأنت بين أمرين كلاهما خطير وأخطر من الخطير .

خطورة تشويه التاريخ الإسلامي :

وأحسب أن هذه الخطورة من الوضوح بمكان ، فهي تتمثل في ناحيتين :

ا — تشويه الإسلام نفسه ، حيث يظهر عجزُه عن التطبيق ، وأن يسود دنيا الناس ويحكمها. ولقائلٍ معاندٍ أن يقول : مبادئ الإسلام وهديه وشرائعه أعظم وأجل ما عرفته البشرية ، ولكنها منهاج ربانيّ لا يطيقه البشر ! ! وإلا فبم تفسّرون عجز صحابة رسول الله ﷺ أنفسهم عن الالتزام بهذا الإسلام منذ عهد عثمان إن لم يكن قبل ذلك؟ حينما نسلم ونقرّ بهذا التشويه للتاريخ ، نسوّغ للمعاندين الجاحدين أن يقولوا هذا .

ب— القضاء على النموذج والمثال الذي يتبع ويحتذى ، فحين ينادي الدعاة بتطبيق الإسلام دينا ودولة ، عقيدة وشريعة ، سيجدون من يسأل : على أي نظام ؟ على أية هيئة ؟ على النمط الأموي ؟ الذي كان وكان . . . أم على النمط العباسي . . . ؟ ! أم على النمط العثماني . . . ؟ ؟

فإذا قلنا : على نمط الخلفاء الراشدين . قالوا : على نمط عثمان بن عفان وما جرّه على الأمة من فتنة ؟ وإذا قلنا : على النمط العُمري . ربما لا يمانعون ، ولكن يقولون: كانت فلتة ، ولم تطل ، وانتهت بمقتل عمر ! ثم يقولون : وأي نظام هذا الذي يسقط بعد بضع عشرة سنة ؟ !

هكذا يقول أعداء الإسلام ، بينما يجد دعاة الشيوعية النموذج الذي يدعون إليه ، وكيف خرج بـ « روسيا » من عهد القياصرة المظلم إلى عصر القوة والسيادة ، والمشاركة في قيادة العالم بمقدار النصف .

ويجد دعاة الرأسمالية النموذج الذي ينادون به في أمريكا زعيمة العالم الحر ، ويجد دعاة « الليبرالية » نموذج الحرية والديمقراطية في انجلترا ، وهكذا . . .

نقول هذا لنؤكد أن الحديث عن تشويه التاريخ الإسلامي ، وضرورة إعادة كتابته ليس مسألة ترف ، وإنما هو أمرٌ يتصل بكياننا ، وبصميم عقيدتنا وديننا ، وأن نكون أو لا نكون .

مظاهر تشويه التاريخ الإسلامي :

إن هذه المظاهر لا تحتاج إلى دليلٍ أو بيان ، فما عليك – إذا أردت أن تتأكد من ذلك ، وترى مظاهر هذا التشويه – إلا أن تسأل أي دارسٍ لهذا التاريخ ؛ على أي مستوى من الدراسة من الابتدائي إلى الجامعة – أن يرسم لك بالكلمات والجمل صورة لأي فترة من فترات التاريخ ، أو يلخص لك ما يعرفه عن أي عصر من عصور التاريخ ، وحينئذ ستسمع ما تدمى له القلوب .

وقد حاولت شخصياً شيئاً من ذلك حين سألت طلاّبي : من يوجز لنا في سطور صورة عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ؟ فكانت الإجابة – بنفس الألفاظ تقريباً – : «كان – رضي الله عنه – رجلاً تقياً صالحاً ، ولكنه كان شيخاً كبيراً ضعيفاً ، وكان فيه ضعف شديد نحو أسرته وقبيلته ، فأقطعهم الإقطاعات وولاهم الولايات بغير حق ، وغلبه هو أيضاً حب الدنيا ، فاستولى على أموال المسلمين وسكن بها القصور ، وترفه وتنعم بها » كذا قال . وجميع زملائه يقرون ويوافقون .

والتجربة الثانية حين سألت : من يوجز لنا الحديث عن عصر « هارون الرشيد » ؟ – وكما توقعت – علت البسمة الخبيثة شفاه الجميع ، وكأنهم يقولون : اعفنا من الحديث في هذا الموضوع ، حتى لا نصرّح بما يقبح ذكره ! !

إن تشويه التاريخ الإسلامي حقيقة واقعة ، يدركها كل من له إلمام – مجرد إلمام – بالتاريخ ، فلسنا بحاجة إلى تلمسّ مظاهره . وإن عارض في ذلك معارض ، فمعناه : أنه آمن بما سمع ، وصدّق ما قرأ ، واعتقد أن هذه الصورة الشوهاء هي الحقيقة .

وسائل تشويه التاريخ الاسلامي

مثل كل محاولات الغزو الفكري تتم في هدوء ، وتلبس أقنعةً تجوز بها ، وتدخل إلى الأفئدة والعقول ، ووسائل تشويه التاريخ الإسلامي لا تقف عند حد ولا عدّ ولكننا نستطيع أن نشير إلى خطوطها العريضة على النحو التالي : —

١ — التركيز على الأعمال العسكرية :

في كثير من الأحيان يقوّم التاريخ الإسلامي وكأنه تاريخ غزواتٍ وفتوحات وحروب وبطولات وكفى ، وهذا الأسلوب يعمد إلى الأعمال العسكرية ، فيشبعها تمجيداً وثناءً ، وحديثاً عن التضحيات والبطولات الفذّة ، والمهارة في القيادة والتعبئة ... الخ .

وربما يبدو للبعض أن هذا عمل جيد ، وأسلوب قيمٌ ، حيث يملأ النفوس حماساً وقوة ويملأ القلوب إعجاباً بالأسلاف الأمجاد الذين (دوّخوا العالم وهزموه) . وقد يكون ذلك مطلوباً مرغوباً ، وهدفاً مقصوداً .

ولكن خطورة عرض التاريخ الإسلامي بهذه الصورة أنه ييسرّ السبيل للقائلين بأن الإسلام انتشر بحد السيف ، ويجعل أبناءنا عاجزين عن ردّ هذه التهمة .

كذلك حينما ينطفئ هذا الحماس وهذه الفورة يبقى الشعور بأن الإسلام والأُمة الإسلامية لم تقدم للحضارة والإنسانية شيئاً .

وإذا أردت دليلاً على ذلك ، فما عليك إلا أن تتناول أي كتاب من كتب التاريخ الإسلامي الذي يدرس في المدرسة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية أو الجامعة ، وبدون اختيار ، وعشوائياً أمامي الآن كتابان : أحدهما : « التاريخ الإسلامي العام » للدكتور على إبراهيم حسن الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة ، والثاني : « تاريخ العرب القديم وعصر الرسول » للدكتور نبيه عاقل الأستاذ بكلية الآداب جامعة دمشق فالكتابان مما يدرس في الجامعات . وإذا نظرت في الكتاب الأول تجد نسبة عدد الصفحات التي تحدثت عن عن المعارك العسكرية بعدد الصفحات التي تحدثت عن كل الجوانب الأخرى هي نسبة ٨٢ : ١٨ أي ٨٠٪ تتحدث عن الأعمال العسكرية ، والعشرين الباقية تتحدث عن باقي الموضوعات منذ ولادة الرسول ﷺ وإرضاعه ونشأته حتى وفاته .

والكتاب الثاني ليس أحسن حالاً من سابقه فقد عقد فصلاً بعنوان « محمد في المدينة » يستغرق ١١٧ صفحة غطى الحديث عن الجانب العسكري والمعارك الحربية فيه نحوا من مائة صفحة .

٢ ــ عدم إعطاء الأعمال العسكرية حقها من التفسير والتعليل :

ومع ما في التركيز على الأعمال العسكرية والاهتمام بها وإبرازها من خطر إلا أنهم يضيفون إليه خطراً آخر ، حين لا يعطون هذه الأعمال نصيبها من التفسير والتحليل والتعليل ، فيعزلونها عن ظروفها التي وقعت فيها ، ومبرراتها التي دعت إليها ، والعوامل التي أدت إلى خوضها .

وأقرب مثال إلى ذلك « غزوة بدر » ؛ حيث تعرض أحداث هذه الغزوة ، ووقائعها بصورة كل ما فيها تمجيد لشجاعة المسلمين ، وكيف انتصروا مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم .

ولعل من الأفضل أن أعرض ما كتبه أحد المؤلفين الكبار صاحب الكتاب المشهور الذي يُعدُّ الآن مرجعاً هاماً من مراجع التاريخ الإسلامي . وأعنى به الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه « تاريخ الإسلام » ؛ فقد جاء في الجزء الأول ص ١٠٩ ما نصه بالحرف الواحد : « وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى ، فقد ندب الرسول نفراً من المسلمين لاعتراض قافلة قريش وهي قادمة من الشام ، فلما علم بذلك أبو سفيان بن حرب ــ رئيس القافلة ــ بعث إلى قريش من يخبرها باعتراض المسلمين لتجارتهم ، ويستنفرهم لاستنقاذها ، ثم غير طريقه ، وتوجه إلى البحر وسار بحذائه حتى جاوز موقف المسلمين ، ثم انسلّ إلى مكة دون أن تمس تجارة قريش بسوء . وقد التقى الرسول بقريش عند ماء بدر ، وكان عددهم يتراوح بين تسعمائة وألف ، فيهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة فنصر الله المسلمين ، وقُتل سبعون من رجالات قريش وساداتهم ، أما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة عشر .

كان لهذه الغزوة أثر كبير في تاريخ الإسلام : فقد كانت أول اصطدام جِدّي بين المسلمين وقريش انتصر فيها المسلمون على الكفار ، وتجلى فيه للمشركين مبلغ تمسك المسلمين بعقيدتهم وتفانيهم في نصرة دينهم . وقد أحفظ ذلك رجالات قريش ، فأجمعت أمرها على أن تغسل عار تلك الهزيمة بغارة أُخرى تشنها على المسلمين » اهـ . وليس بعد هذا إلا بقية حديث عن أثر غزوة بدر في المسلمين والمشركين .

وتستطيع أن تتناول بيدك عشرات الكتب التي كتبت عن غزوة بدر ، فلا نجدها تعرضها إلا بهذه الصورة ، والاختلاف بينها ليس إلا في التفصيل والإجمال ، ولكنها جميعاً تقول : إن الرسول نادى في المسلمين : أن اخرجوا إلى طريق القوافل لتعترضوا تجارة قريش وتأخذوها . فلما تيقظ لهم أبو سفيان وأفلت منهم ، اتجهوا إلى بدر حيث فتكوا بالذين جاءوا ، فتكوا بقريش التي جاءت تنقذ تجارتها .

هكذا . . قطع للطريق ! ونهبٌ للتجارة ! وإلا ففتكٌ بالنجدة التي جاءت لإنقاذها ! ويقرأ شبابنا في الجامعات تاريخ نبيهم وصحابته بهذه الصورة ، فيترسب في أعماقهم ما يترسّب ، ثم يُدعوْن إلى الإسلام والتمسك بهديه فيحارون ويضطربون !

ألم يكن في وسع الكاتب القدير أن يبين لماذا اعترض المسلمون القافلة ؟

ألم يكن في وسعه أن يقول : إنه باستقرار النبي ﷺ في المدينة بدأ عهدٌ جديد ونظام جديد لم تره جزيرة العرب من قبل ، بدأ لأول مرة ميلاد دولة ذات حدود ومعالم ، الولاء فيها ليس للقبيلة ، ليس للدم ، ليس للعصبية ، فقد تآخى المسلمون من المهاجرين والأنصار ، وامتزج المسلمون على اختلاف القبائل وتباعدها ، بل وتصارعها وتحاربها ، بل وقوتها وضعفها ، ورفعتها وضعتها ، لأول مرة كان في الجزيرة دولة تؤمن بعقيدة ، وتحمل رايتها . ومن الطبيعي أن يكون لهذه الدولة حدود ، ومن حقها أن تحمي حدودها وتدفع عنها . وإذا كان طريق القوافل يمرّ في أرضها فمن حقها أن تسيطر عليه ، ومن حقها أن تصادر تجارات الأعداء التي تمر في أرضها . بهذا تقضي القوانين الطبيعية ، ومازلنا ليومنا هذا في عصر « القانون الدولي » نسمح لكل دولة أن تسيطر على الممرات الدولية التي تمر بأرضها ، وبالتالي تمنع أعداءها من استخدام هذه الممرات ، وتصادر كل من

يخالف أو يعتدي ، وأقرب مثال إلى أذهاننا « قناة السويس » ومصادرة أي بضائع إسرائيلية تمرّ بها . وكان من الممكن أن يقول : إن المسلمين خرجوا يعترضون تجارة قريش لأنها كانت في جملتها أموال المسلمين التي تركوها وراءهم عندما هاجروا متخفين مستترين .

ولا يحاول أحد أن يعتذر عن الكاتب بأنه غير مطالب بكل شيء عن الغزوة حيث من حقه أن يوجز أو يطنب كما يشاء .

أقول : لا يقبل هذا عذراً لأن الكاتب استمر في حديثه عن الغزوة وما يتصل بها فأفاض في خبر الغنائم وكيف قسمها المسلمون ، مبيناً أنها كانت مجال صراع وتنازع وحرص . وقد أحصيتُ ما كتبه عن نزاع المسلمين حول الغنائم بالسطر ، فوجدته يزيد عن نصف ما كتب عن الغزوة وآثارها .

وهكذا تعرضُ الأعمال العسكرية معزولة عن ظروفها مقطوعة عن ملابساتها لتوحي بما توحي به من تشويه وإساءة !

٣ ــ إعطاء تفسيرات لبعض الأحداث ودوافع لبعض الأعمال أقل ما توصف به الخبث وسوء النية :

والأمثلة على ذلك لا تقع تحت حصر :

تعالوا نقرأ في كتاب « تاريخ الإسلام » جـ ١ ص ٢١٦ للدكتور حسن إبراهيم حسن ما نصه :

« ... وجه « أبو بكر » همه بعد ذلك إلى إخماد الفتن والثورات الداخلية ، ليشغل العرب بالحروب الخارجية ، لأنها كانت تفي بما أمر به الدين من نشر الإسلام من جهة ، ولأنها كانت من جهة أخرى استغلالاً صالحاً لما جُبل عليه العربي من حب القتال ، لذلك لم يكد « أبو بكر » ينتهي من حروب الردّة الطاحنة التي شنها على العرب المارقين حتى أرسل تلك الجيوش وزوّدها بالأمداد يتلو بعضها بعضاً لفتح البلاد ونشر الإسلام فيها ... ».

ثم نقرأ في كتاب « الدولة العربية » للدكتور السيد عبد العزيز سالم ص ٤٦٦ :

« ومن العوامل النفسية أيضاً حرص « أبي بكر » على ملْء الفراغ الهائل الذي ترتب على وفاة رسول الله ، فقد زعزعت وفاة رسول الله كيان الدولة العربية ، وساعد عليها التنازع على الخلافة وحركة الردة ، ولولا حكمة أبي بكر وحنكته السياسية ، لما أمكنه إعادة توحيد العرب وتقويم البناء ، ويبدو أن أبا بكر كان يميل إلى شَغْل القوى التي تمكنت من قمع حركة الردة بمهام جديدة ، حتى لا يتفرغوا للفتن التي ألفها العرب في أوقات فراغهم ، فلم يجد أنسب من تسخير هذه الطاقة الكبيرة التي أثبتت قدرتها وكفايتها في حرب الردة في مشروعات حربية تحقق للدولة العربية الفتية أهدافها » .

ولعل الأمر بهذه الصورة ، وبهذا الوضوح لا يحتاج إلى تعليق ! ! هكذا – بكل ذكاء – لا يحسدان عليه ! أدرك المؤرخان البارعان – وأمثالهم كثير – السرَّ الخبيء ، وعرفوا طوبة الخليفة الراشد ، وتفضّلوا عليه بلقب الحنكة والمهارة السياسية ، ورأوا بأعينهم ما أخفاه في ثنايا قلبه عن كل جيوشه وصحابته ومستشاريه ، فافتعل المعارك مع جيرانه في الشرق والشمال ، وساق إليها عشرات الآلاف من صحابة رسول الله ﷺ يعرّضهم للقتل والفناء حتى يشغلهم عن الصراع الداخلي ، ليثبت له سلطانه ، ويستقرّ ملكه ، ويسن هذه السنة لمن بعده فيستمرون على منواله ، في صراع الأكاسرة والقياصرة ، إلهاءً لأمتهم ، ولا أقول لجيوشهم فقد كانت الأُمة كلها تخرج للجهاد ! !

وبعد أن نهيْ هؤلاء المؤرخين « العظام جداً » على ذكائهم النادر ، نستأذنهم في أن نسائلهم :

• ألم يتنبه واحد – فردٌ واحد فقط – من هذه الأُمة ، فيسائل الخليفة عن جدوى هذه المعارك ؟ في وقت كانت الأُمة تناقش خلفاءها وأُمراءها في النقير والقطمير ، وتسائلهم عن دِقّ الأُمور وجلِّها ، بصورة من الشورى والحرية لم تر الدنيا مثلها ، ولا يستطيع هؤلاء المؤرخون أنفسهم إنكارها ؟ ! .

• ثم هل يمكن أن تكون المعارك الحربية وسائل لإلهاء الأُمم ؟ ! إخالُ هؤلاء المؤرخين يقيسون ذلك على من يلهون شعوبهم بمباريات الكرة ونحوها ! !

* وهل إذا جاز ذلك من الحكام خلفاء « ميكيافيللي » وتلاميذ مدرسته ، إذا جاز ذلك من هؤلاء فهل يجوز من الصدّيق الراشد ، ومَنْ بعده من الراشدين خلفاء الرسول ﷺ؟

ومن أمثلة ذلك الخطل في التفسير للأعمال والأحداث : ما قيل عن خروج « عائشة » – رضي الله عنها – يوم « الجمل » وأنها كانت بهذا الخروج والثورة على الإمام « عَلي » تُنَفِّس عن ضِغْنها وكراهيتها للإمام علي منذ حادثة الإفك ! .

وأيضاً تفسيرهم لخروج طلحة ، والزبير – رضي الله عنهما – لنفس الموقعة ، بأنهما كانا يطمعان في الولاية على بعض الأقاليم ، فلما غير علي – رضي الله عنه – عماله وولاته ولم يولِّ واحداً منهما خرجا عليه اغتياظاً وحنقاً ! (انظر التاريخ الإسلامي العام ص ٢٦٢) .

* ومنهم من يفسر خروج طلحة والزبير بأنهما كانا قد جمعا ثرواتٍ هائلة من الفتوح والمعارك ، وخافا عليها من جدِّ « عليّ » واستقامته . يقول نبيه عاقل في كتابه « خلافة بني أُمية » ص ٢٣ : « ومن أجل الفصل في قضية موقف طلحة والزبير من عليّ ، واختلاف هذا الموقف قبل بيعته وبعدها ، لابد أن نعود للتذكير بما أسلفنا من حديث عن أسباب النقمة على « عثمان » ولا سيما الجانب الاقتصادي من هذه النقمة ، بسبب توقف الفتوح واستئناف الأرستقراطية المكية القديمة نشاطها التجاري ، ونقلها لهذا النشاط من الحجاز إلى الأمصار ، حيث أثرى بعض رجالات قريش ثراء فاحشا ، وكناقد ضربنا مثلاً بما حصل عليه كل من طلحة والزبير من أموال ومتاع وعقار وعبيد ، جعلتهما من كبار رأس المال اللذين يهمهم جداً أن تكون أُمور الدولة بيد رجل يقبل بأن تسير الأُمور على هواهما ، ووفق مصالحهما ، وعليّ رجل جد واستقامة ودين ويعرفان سلفا أنه قد يقف حجر عثرة في طريق مصالحهما المادّية ، ولو آلت الخلافة لواحد منهما على ماله من سابقه في الإسلام ، وعضوية في شورى عمر ، لضمنا لأنفسهما يُسراً في الأُمور ، لن يتحقق لهما في ظل خلافة شخص كعلي » .

هكذا . ! أم المؤمنين « عائشة » الطاهرة المبرأة ، ومعها « طلحة » الخير « والزبير » حواري رسول الله ﷺ وهما من المبشرين بالجنة ، هؤلاء الثلاثة يثيرون حرباً ضارية يقتل فيها الآلاف ، من أجل إحن شخصية ، أو طموحات فردية ، أو مصالح مادية ! !

٤ ـ ذكر أحداث في صورة أكبر من حجمها :

مثال ذلك : ما كتبه الدكتور « نبيه عاقل » في كتابه « تاريخ العرب القديم وعصر الرسول » عن مقتل « كعب بن الأشرف » ؛ فقد خصه بعنوانٍ وحده في الفهرس . وأبرزه بين الأعمال العسكرية التي عددها للرسول ﷺ من غزوات وسرايا ، فصار مقتل « كعب بن الأشرف ، منسوباً إلى باقي الأعمال العسكرية ، كواحدٍ من بضعٍ وعشرين عملاً عسكرياً، مع أن مكان هذا العمل الطبيعي هو الحديث عن معاملة الرسول ﷺ لليهود ، ومعاهدته لهم ، وتسامحه معهم ، وحرصه ﷺ على هدايتهم ، وأمله في إيمانهم ، وهم مع هذا يتآمرون عليه ، ويدبّرون لقتله ، ويسبون المسلمين، ويهجونهم ، ويشببون بنسائهم، ويحرضون عليهم ...!! فإذا ذكر مقتل « كعب بن الأشرف » في مكانه الطبيعي هذا ، وفي هذا السياق ظهر أن القتل كان أقل جزاء يوقّع عليه ، وأنه قصاصٌ عادل .

٥ ـ سوء التعبير والألفاظ في كثير من الأحيان :

فنجد بعض الكتاب يستخدم ألفاظاً وتعبيرات تضيف إلى سوء المعنى سوءاً آخر ، وإلى تشويه الأفكار تشويهاً آخر ، مثال ذلك : ما نقرؤه في أحد الكتب التي تدرّس لأبنائنا، في دولة إسلامية عربية كبرى ، يقول المؤلف : « كان ضعف دولتي الفرس والروم في عصر الخلافة الرشيدة مشجعاً للعرب على غزو بلادهما ... » كذا . ! خلافة رشيدة ، ويشجعها ضعف جيرانها على أن تغزوهم ! ! فأين الرُّشْد ؟ ويعلّم هذا لأبنائنا ، في الوقت الذي يتنادى فيه العالم بالدعوة إلى الإسلام ، والتعايش بين الأقوياء والضعفاء ، في ظل رعاية القانون والحقوق ! .

في هذا الوقت نفتري على الخلفاء الراشدين ، ونقول لأبنائنا : إنهم استضعفوا جيرانهم فأغاروا عليهم ، ولا حرج عليهم حينئذٍ ، إذا جاش في أعماقهم سؤال يقول : وهل فعلت إسرائيل غير هذا ؟ شجعها ضعف جيرانها على غزوهم ! ! .

وفي نفس الكتاب نقرأ أيضاً : « اتسعت الدولة في عهد « أبي بكر » إتساعاً كبيراً على حساب دولتي الفرس والروم » !

وقد تكون الفكرة سليمة ، لكن سوء التعبير والألفاظ يشوه الفكرة ، ويكسو المعنى كلّه ظلالاً قاتمة تساهم في تشويه الموضوع كله .

مثال ذلك : ما جاء في كتاب الدكتور نبيه عاقل « تاريخ العرب وعصر الرسول » ص ٤٦٦ : « ولعل أهم ما أظهرته غزوة بدر هو أن أبا جهل كان على حق حين اعتقد بأن « محمداً » ليس بالخطر الصغير الذي يستهان به ، وأنه إذا كان لقريش أن تعيش بسلام ، فلابد لها من الخلاص منه » فأي سوء في أسلوب التعبير أكبر من هذا ؟

هذه مجرد نماذج ! وتستطيع أن تتناول أي كتاب من كتب التاريخ الإسلامي وتقرأ فيه بشيء من الانتقاد ، وستجد نماذج لا حصر لها .

٦ ــ بتر الأحداث وعرضها من جانب واحد :

ونعني بذلك : أن يعرض الموضوع من زاوية واحدة ، فيعرض بعض الحقائق دون البعض الآخر ، ولا يستطيع أحد أن يكذب هذه الحقائق ، ولكن ذكرها وحدها هو أخبث أنواع الكذب والتزييف والتضليل ، وهذا أمرٌ مشاهَد ملموس في حياتنا اليومية ، حيث يذهب الذاهب إلى إحدى المدن ويعود فيحدث بما رآه من مواخيرها ، وملاهيها ، وفسادها ، فيخيل إلى سامعه : أن هذا كل ما في المدينة .

وقد يعود آخر من نفس المدينة ، فيحدث بما رآه من مساجدها ، ومكتباتها ، وعلمائها وأدبائها ، ومفكريها ، ومجاهديها ، فيخيل إلى السامع أن هذا كل ما في هذه المدينة ! .

وقد اتُّبِعَت هذه الوسيلة في كتابة التاريخ الإسلامي ، بصورة تكاد تكون عامة ، فمع التركيز على الأعمال العسكرية ، وعدم إعطائها حقها من التعليل والتفسير ، مع هذا يذكر من الأعمال العسكرية ــ غالباً ــ ما قام به المسلمون من جهاد ، وصمود ، وبطولة ، ومهارة ، ثم ما حازوه من غنائم ، لكن لم تقرأ مثلاً في أحداث هذه الحروب ما كان يوصي به الخلفاء والأمراء قواد الجيوش من الطاعة ، والبعد عن المعاصي ، وعدم التعرض

للنساء ، والأطفال ، ومن لم يقاتل من الرجال ، وبلغة العصر : عدم التعرض للأهداف المدنيـــة .

كذلك لم نقرأ مثلاً عن كراهية « عمر » للحروب ، وأنه حين رُشِّح له أحدُ القواد المهرة أقرّ بكفاءته ، ولـكنه كره توليته لأنه متعجل مندفع ! ، ولم نقرأ مثلاً قولَ « عمر » الذي يؤكد كراهيته للحرب حين قال : « ود دت لو أن بيننا وبين فارس جبلٌ من النار ، لا يعلونه ولا نعلوه » وما ورد من أن المسلمين كانوا يتوقعون هجوم الفرس من قبل وفاة الرسول ﷺ .

وعلى هذا المنوال ذكر تاريخ الخلفاء المسلمين ، فهذا معنيٌّ بالترفه والتنعم ! وهذا بالشعر والشعراء ! وهذا مفتون بالعروبة والعرب ! كاره للأعاجم محتقر لهم ! ! وهكذا ...

وإذا أردنا مثالاً من تاريخنا — هذا القريب — نجد المؤرخين للحملة الفرنسية يقولون لنا : استيقظ الشرق على طلقات مدافع نابليون ، وجاءت الحملة بأول مطبعة عرفها الشرق ، وأول معمل للكيمياء ورسمت أول خريطة للبلاد ، وأُصدرت أول صحيفة ، وهذا صحيح !

ولـكن كان يجب أن يقولوا أيضاً : إن الفرنسيين أول من نظموا المواخير والحانات وأعطوها التراخيص جهاراً ، وأول من أباحوا البغاء الرسمي ، وأول من أدخلوا السفور والفجور ! كان الأولى أن يقولوا هذا بجانب ذاك .

بل قالوا أيضاً : إن الناس رأوا أول محاكمة عصرية ، ونظروا إليها بإكبار ، وتعجبوا حين رأوا لأول مرة قاتلاً متلبساً لا يقتل لساعته ، وإنما يوقف أمره لحين التحقيق بطريقة عصرية متحضرة ! . . حيث يستقدمون له محامياً من « باريس » للدفاع عنه ، ثم يقف أمام المحكمة التي تتكون من عدة مستشارين ، ومجموعة من المحلفين ، حتى يكون الحكم عن يقين ، فيكون عادلاً لا تشوبه شائبة .

وهم بهذا يشيرون إلى ما كان من محاكمة « سليمان الحلبي » قاتل « كليبر » . وكل هذا صحيح ! من حقهم أن يقولوه ! ولـكن . .

ولـكن كان يجب أن يقولوا أيضاً : كيف كان حكمُ المحكمة « العصرية المتحضرة »؟!

وماذا كان قبل أن تنعقد المحكمة المتحضرة جداً ! ! . كان يجب أن يقولوا : إن حراس « كليبر » ومعهم جماعات من جنود الاحتلال الفرنسي انطلقوا في شوارع القاهرة ، يقتلون كلّ من يقابلهم من الرجال والنساء والصبيان ، حتى قتلو نحواً من مائتي شخص انتقاماً لمقتل كليبر ، قبل أن تنعقد المحكمة « العصرية » ! . . كذلك لم يقولوا : إن حكم المحكمة « العصرية جداً » ! كان ينص على :

١ – يقتل كل من حامت الشبهة حول اشتراكه مع سليمان أمام عينيه !

٢ – تشوى يد سليمان اليمنى حتى المرفق في النار ، وهي متصلة بجسده ! !

٣ – ينفذ فيه حكم الإعدام ، بأن يُجلسوه على آلة حادّة تمزّق أمعاءه ! هكذا . . أعجب آلة جهنمية تفتق عنها ذهن المحكمة « العصرية جداً » ! ! .

وقد سخر منهم سليمان الحلبي ، أبلغ سخرية ، حينما طارت جمرة نار إلى ذراعه ، فطلب إبعادها قائلاً : إن الحكم ينصّ على حرق اليد فقط !

وعندما طلب شربة ماء وهو في النزع الأخير وهم أحد الجنود بإعطائها له ، منعه رئيس التنفيذ قائلاً : إن الحكم يرمي إلى إطالة تعذيبه ، وقد تساعد شربة الماء على تخفيف آلام الحشرجة وتسهل خروج الروح . (ارجع في هذه النقطة إلى مذكرات « فرنسوا » – أحد رجال الحملة الفرنسية – وقد ذكر هذا جلال كشك في كتابه « . . . ودخلت الخيل الأزهر » . !

كذلك لم يقولوا شيئاً عن وقع هذا الغزو الفرنسي ، وأثره في العالم العربي الإسلامي ، فمن الثابت تاريخيا : أن أهل الحجاز أعدوا جيشاً لمساندة مصر والشام ، وأعلنوا الغضب والحزن والآسى ، وجرّدوا الكعبة من ستائرها ، إظهاراً للألم على ما أصاب جزءاً من بلاد الإسلام ! وقد عبر الجيشُ العربي البحرَ الأحمر فعلاً ، ووصل إلى صعيد مصر ، كما قامت بلاد المغرب – ليبيا وما يليها – بإعداد قواتٍ مماثلة لذات الغرض ! .

كل ذلك لا يقال ! ! ولم نقرؤه في السائد من كتب التاريخ ، بل كلها تصور الحملة الفرنسية بأنها هي التي فتحت باب العلم ، والنور والحضارة إلى بلاد الشرق ! ! .

٧ ـ استخدام الدراسات الأدبيـــة في تشويه التـاريخ :

وهذه الوسيلة لا تقل عما سبقها من الوسائل ، بل ربما كانت أخطر منها ، وأبعد أثراً ، ذلك أن اعتماد الأدب ــ بكل فنونه ــ مصدراً من المصادر للمعلومات التاريخية الثابتة يقوم على أساس القـاعدة النقـدية المسلّمة التي تقول : « إن الأدب مرآة العصر الذي نشأ فيه » فثبت في الأذهان ، وقرّ في الأفهام أن ما ورد في شعرٍ أو نثرٍ هو اليقين الصادق الذي لا يقبل الشك .

مع أن هذا ليس على إطـلاقه ، بل « مرآة الأدب » تعكس واقعاً ملوّناً بعاطفة الأديب ومصوّراً بانفعالاته ، وقد قرر ذلك رجال النقـد والأدب المقارن أنفسهم ، يقول أُستاذنا الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه « الأدب المقارن » ص ٤٠٢ ــ عن صورة ألمانيا في أدب « مدام دي ستال » الفرنسية ، وكيف صورتّها من خلال ذاتّها صورة لا تطابق الواقع ــ : « هاجرت مدام دي ستال إلى ألمانيا ضائقة ذرعاً بما تعانيه فرنسا من طغيان نابليون ، ومن تحكمه في حرية الأفـكار فيها ، فكانت تنشد في هجرتّها بلداً تتمتع فيه بتلك الحرية ، التي حرمتها في فرنسا . فجاءت آراؤُها في كتابتها مشوبة بنوع من المثالية التي تحلم بها أضفتها هي على كل ما رأت وما شرحت ، وكان كتابها عن ألمانيا بمثابة : صلوات طريد ينشد ملاذاً في عالمٍ مثالي ، وقد أثرت بإدراكها هذا في جيل من الـكتاب والرحالة الفرنسيين ، فظلت ألمانيا في إنتاجهم بلد الحـرية الفنية في المسرحيات والشعر ، كما ظلت بلد الحيـاة المرحة الطليقة التي يتمتع أهلها بملذات الحياة ، في كنف حرية رحبة الآفـاق .

وبالرغم من أن الصورة التي رسمتها مدام دي ستال لألمـانيا كانت غير صادقة ومبالغاً فيها ، فقد ظلت ذات أثر بالغ في معاصريها ، ومن جاء بعدهم من أدباء النصف الأول من من القرن التاسع عشر » .

هـكذا . . أكثر من نصف قرن حتى تغيرت أو بدأت تتغير الصورة التي رسمتها للمجتمع الألمـاني ، ومن يدري إلى أي إتجاه تغيّـرت ؟ هـل تغيّرت إلى القرب من الواقع ؟ أم بعدت عنه من جانب آخر وناحية أُخرى ؟ ! .

ثم يؤكد الدكتور « غنيمي هلال » هذا المعنى ، ويبين سببه وعلّته فيقول : « فلم تر مدام دي ستال » مثلاً من ألمانيا غير رجال الأدب من المجتمعات الأرستقراطية ، في مقاطعة « ساكس » وغير رجال السياسة ، وبعض الفلاسفة في برلين ، وبمخالطتها لهؤلاء تحددت نظراتها الفاصلة في تصويرها لألمانياً » .

ومن هنا لا يمكن أن يقبل قول من يتخذون شعر « عمر بن أبي ربيعة » صورة للمجتمع في عصره ، ولا شعر « أبي نواس» ، « ومسلم بن الوليد » ، « وبشار» ، وقصص « ألف ليلة» مصدراً لا يرقى إليه الشك من المصادر التي تصور الحياة في جوانبها ونواحيها المختلفة .

والخطر الثاني في الدراسات الأدبية : يكون في تفسير الظواهر الأدبية ، وعوامل شيوعها . من ذلك مثلا : تعليل شيوع الغزل في العصر الأموي . حيث يقولون :

« لم يكن الغزل فناً مستقلاً ، ينظم فيه الشاعر لذاته في العصر الجاهلي ، ولكنه أصبح فناً مستقلاً ، وأصبحت القصائد تنظم من أجل الغزل وحده . ومن أهم أسباب ظهور هذا الفن :

١ ــ أبعد الأمويون أبناء المهاجرين والأنصار عن السياسة ، وأسكنوهم الحجاز ، ومنحوهم الأموال الطائلة ، ووجد هؤلاء الفراغ والأموال فبدءوا ينظمون هذا اللون من الشعر .

٢ ــ كثرت السبايا نتيجة للفتوحات الإسلامية ، وكان معظم أبناء المهاجرين والأنصار من الشباب فانصرفوا إلى الغزل وسماع الغناء ، وقال هؤلاء شعراً رقيقاً ، أبدعوا فيه ووقفوا شعرهم عليه » ا . هـ .

هكذا يفسرون شيوع الغزل ! ! وبضربة واحدة يصيبون الخلفاء الأمويين ، وأبناء الصحابة ! فالخلفاء خبثاء ، يشجعون على اللهو والفساد ، حتى يتلفوا الشباب ، ويلهوه عن حقوقه السياسية . وكذلك وصموا الشباب من أبناء الصحابة بأنهم « مغفلون » ! لم ينتبهوا لخبث خلفاء بني أمية ومكرهم ! ! .

والأعجب من ذلك : أنهم حين يفسّرون ظاهرة « شيوع الغزل في العصر الجاهلي » ويعللون لها يقولون : « شاع الغزل في العصر الجاهلي لأن العربي بطبعه ذو حس مرهف ،

ميالٌ للجمال محبٌّ له ، ولأن حياته تقوم على الحلّ والترحال ، فتشعل الشوق في قلبه ، وتحرّك لواعجه ، ولأن طبيعة بلاده المكشوفة الساطعة الضوء الصافية السماء تنعكس على نفسه إشراقاً وحباً فتدفعه إلى الغزل » .

ولك أن تضحك أو تبكي أو تصرخ : ما هذا ؟ يتغزل العربي الجاهلي فيقولون : ميالٌ للجمال ! ذو حس مرهف ! ، ويتغزل العربي المسلم فيقولون : مغفّل يلهيه الحكام عن حقّه في السلطة ، أو مراقبتها . يا سبحان الله ! ! كيف تحوّل العربي من رقيق الحس ، محب للجمال ، إلى مغفّل ، مضحوك عليه ، في نحو من أربعين سنة ؟ ! .

وخطورة الأدب والدراسات الأدبية ، أنها تقوم على أنها عمل فني ، ودراسة فنية بحتة ، غير مقصود إلى ما تحمله من أفكار ، وهي تستقر في الأذهان بدون تنبه لخطرها وتستولى على الأذهان على أنها حقائق ، من غير أن يشعر قارئها ودارسها .

من آثار تشويه التاريخ على الفكر الاسلامي

لقد كان أخطر وأكبر انحراف فكري في هذا العصر الحديث هو ما كتبه الشيخ « على عبد الرازق » في كتابه « الإسلام وأصول الحكم » .

ونستطيع أن نقول : إن وراء هذا الانحراف ، وهذا التردّي الخطير الصورة المشوّهة لتاريخ أُمتنا وأئمتها وخلفائها ، ولا نقول ذلك من استنتاج أو تخمين ، بل نقوله عن يقين نملك الدليل عليه .

وذلك هو قوله في كتابه ص ٢٢ ، ٢٣ : « ولولا أن نرتكب شططا في القول ، لعرضنا على القارئ سلسلة الخلافة إلى وقتنا هذا ، ليرى على كل حلقة من حلقاتها طابع الغلبة والقهر ... » فهو لم ير من تاريخ أُمتنا إلا غلبةَ الخلفاء وقهرَهم للأُمّة الإسلامية ، ومن هنا أباح لنفسه أن يهاجم مبدأ الخلافة ، ثم ينكر علاقتها بمباديء الإسلام وتعاليمه .

وهكذا كان كل ما جاء به من أباطيل مبنياً على رؤيته المشوهة للتاريخ ، ومنبعثاً عن إحساسه المغلوط بماضينا المجيد . !

وتطالعنا إحدى المجلات التي ترفع لواء الفكر الحر الجديد ، من أجل المستقبل الأفضل السعيد ، بمقال لكاتب من دعاة الإصلاح في هذا الزمان ، ونجد عنوان المقال : « لئلا يعود هارون الرشيد ... » !

أي والله ! ! المسكين خائف . . خائف من عودة هارون الرشيد ! ! مذعور من هارون الرشيد ! ! لماذا هو خائف من عودة هارون الرشيد ؟ ! .

لن نناقش الأفكار التي وردت في المقال الآن ، ولكن يكفي هذا العنوان ، .. ماذا يحمل من معانٍ ؟ وماذا يعطي من دلالات ؟ !

إنه خائف من عودة هارون الرشيد . ليس خائفاً على نفسه ! د ولكنه بالقطع خائف على الأُمة ! !

وحق له أن يخاف ! فصورة « هارون الرشيد » التي استقرت في ذهنه — وهي للأسف وبكل مرارة . . في ذهن عامة المثقفين والمتعلمين — صورة هارون الرشيد التي تقفز أمام الأعين حينما يرن اسمه في الأُذن ، صورة الغناء والجواري ، والحرير والعطور ، والترف والخمور ، وأبي نواس والمضحكين ، حتى إننا نجد بعض الفنادق الكبرى في بعض البلاد الإسلامية تُطلق على قاعة الرقص والخمر « قاعة هارون الرشيد » ! من هنا فزع الكاتب المصلح (!) من عودة هارون الرشيد ، وبالتالي من عصر هارون الرشيد ! ومن المبادئ والأُسس التي قام عليها حكم هارون الرشيد ! ! .

• ومن أمثلة هذه الآثار أيضاً : ما حدث ذات مساء — عقب محاضرة عن تطبيق الإسلام ، وكيف يكون ؟ وماذا تجني الإنسانية من ورائه ؟ — فقد وقف أحد الرجال المشهود لهم بالفضل والدين والخلق ، ومن الممتازين في مجال الفكر والثقافة . . وقف هذا الأستاذ الفاضل ليقول : إن ما سمعناه كلام رائع لا شك ، وأمل مشرق لا شك ، وفكر منطقيٌ مقنع لا شك ! ولكن الواقع يكذب ذلك ، ويوحي لنا بأن هذا التطبيق أمرٌ مستحيل ! ! فمنذ عصر الخليفة الثالث بدأ الانحراف والعجز عن التطبيق ! ! ... الخ .

والعجيب ! أن كلامه وقع موقع التصديق من جمهور الحاضرين ، ولولا أن واحداً ممن عصم الله ، وأدرك ما يدبرّ لهذه الأُمة ، أجاب هذا المعقب ، وكشف له ما أصاب تاريخنا من تشويه ، لولا ذلك ، لانصرف جمهور الحاضرين ، وهم لهذا المعقّب مصدقون ؛ فهو ليس فرداً ولكنه نمطٌ ، أو هو النمط السائد بين المتعلّمين والمثقفين ! ! .

ويقع تحت تأثير تشويه التاريخ كاتب كبير ، من الذين يكتبون باسم الإسلام ، ويحملون قلمه ، ويكتبون عن الثقافة الإسلامية ، وأعني به : الدكتور « إسحاق موسى الحسيني » من أعلام المفكرين وأُستاذ الأدب العربي في معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية وما يكتبه دائماً موضع ثقة ، وقبول من عامة المثقفين ، .

ومع ما للرجل من الفضل والمنزلة ، والعلم والثقافة جرى قلمه — عفواً — بكلمات ومقولات رسخها الغزو الفكري في وجداننا ، من مثل قوله : « غزا العرب مصر في أوائل القرن الأول الهجري ... غزا المسلمون شمال إفريقية عام ٢٣ هـ ٦٢٠ م بعد أن أنهى عمرو بن العاص احتلال مصر ، ولكن الغزو الفعال حدث بعد حوالي أربعين عاماً » ! ! ! .

وقد ورد هذا على قلم الكاتب الكبير في كتاب « الإسلام الصراط المستقيم » وهو كتاب اشترك في كتابته عن الإسلام تسعة من كبار الكتاب المسلمين من مصر ، وتركيا ، وفلسطين ، وإيران ، وباكستان ، والصين ، وأندونيسيا ، ونشرته أولاً بالإنجليزية مؤسسة « فرنكلين » ، ثم ترجم إلى اللغة العربية . (راجع جريدة الأهرام ١١ نوفمبر سنة ١٩٧٧ . حيث كتبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن — بنت الشاطئ — مقالاً في نقد ما وقع فيه الدكتور إسحاق موسى الحسيني من أوهام تاريخية وزلّاتٍ فكرية) .

والأمر لا يقف عند هذا الحد ؛ فيقع أسير تشويه التاريخ أحد علماء الإسلام الكبار وهو الشيخ « عبد الجليل عيسى » حيث يقول في كتابه : « اجتهاد الرسول ﷺ » ص : ٢٥ بما قال به المؤرخون : من أن « عمرو بن العاص » خدع « أبا موسى الأشعري » ويقول بها الشيخ — ذاهلاً عن أنه يصف أحد الصحابيين الجليلين بالتدليس والتمويه والخداع ، والآخر بالغفلة والبلادة — ناسياً ما أجمع عليه من يعتد بقولهم من عدالة الصحابة — رضوان الله عليهم — وما شهد لهم به الرسول ﷺ من الأفضلية والمزية ، وغافلاً عما حققه « ابن العربي »

في مسألة التحكيم من أنه لم يكن من « عمرو » خدعة ، ولا من « أبي موسى » غفلة . (انظر العواصم من القواصم ص ١٧٢) نجد الإمام « ابن العربي » يقول :

« وقد تحكم الناس في التحكيم ، فقالوا فيه ما لا يرضاه الله ! وإذ لحظتموه بعين المروءة – دون الديانة – رأيتم أنها سخافة حمل على سَطْرِها في الكتب – في الأكثر – عدم الدين ، وفي الأقل جهل متين ... » ! ثم عرض الروايات ونقد ومحص ، ونفى وأثبت ، حتى أبان وجه الحق وبرأ الصحابيين الجليلين ، ويحتاج هذا الموضوع لبحث خاص .

وبعد ، فأضرع إلى الله العليّ القدير أن تكون إطلالة المسلمين على القرن الخامس عشر الهجري مجالاً للمراجعة والتدبر فيما مضى ، وحسن تخطيط لما يستقبل ، وأن يكون تاريخنا أول ما نراجع ، فننفي عنه ما علق به ، ونزيل ما أصابه من تشويه وتحريف ، حتى نتخذ منه عوناً على مستقبلنا ، وضوءاً لطريقنا المستقيم إن شاء الله .